الله لذل فأنزل الله هـذه الآية (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً) وقال أيضاً حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية (الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً) الآية ، الصغير من أهله والكبير . قلت وقد جاء فى حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى هذه الآية آية العز وفى بعض الآثار أنها ماقرئت فى بيت فى ليلة فيصيبه سرق أو آفة والله أعلم ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن سيحان البصرى حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدى عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة قال خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويده فى يدى أويدى فى يده فأتى على رجل رث الهيئة فقال « أى فلان ما بلغ بك ما أرى ؟ » قال السقم والضر يارسول الله قال « ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر ؟ » قال بلى ، مايسرنى أن شهدت بها معك بدرا أو أحدا ، قال فضحك رسول الله ﷺ وقال « وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟ » قال: فقال أبو هريرة يارسول الله إياى فعلمنى قال « فقل يا أبا هريرة توكلت على الحى الذى لايموت ، الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً » قال فأتى على رسول الله وقد حسنت حالى قال : فقال لى « مهيم » قال قلت يا رسول الله لم أزل أقول الكلمات التى علمتنى ، إسناده ضعيف وفى متنه نكارة والله أعلم . آخر تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الكهف وهى مكية ﴾

﴿ ذكر ما ورد فى فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا شعبة عن أبى إسحق قال سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفى الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « اقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن » أخرجاه فى الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذى كان يتلوها هو أسيد بن الحضير كما تقدم فى تفسير سورة البقرة . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان ابن أبى طلحة عن أبى الدرداء عن النبي ﷺ قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى من حديث قتادة به ، ولفظ الترمذى « من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف » وقال حسن صحيح ، (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبى الجعد يحدث عن معدان عن أبى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم أيضاً والنسائى من حديث قتادة به ، وفى لفظ النسائى « من قرأ عشر آيات من الكهف » فذكره ، (حديث آخر) وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال » فيحتمل أن سالما سمعه من ثوبان ومن أبى الدرداء وقال أحمد حدثنا حسين حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً مابين السماء والأرض » انفرد به أحمد ولم يخرجوه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره بإسناد له غريب عن خالد ابن سعيد بن أبى مريم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضىء له يوم القيامة وغفر له مابين الجمعتين » وهذا الحديث فى رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف . وهكذا روى الإمام سعيد بن منصور فى سننه عن هشيم بن بشير عن أبى هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين البيت العتيق . هكذا وقع موقوفا ، وكذا رواه الثورى عن أبى هاشم به من حديث أبى سعيد الخدرى

وقد أخرجه الحاكم فى مستدركه عن أبى بكر محمد بن المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعرانى حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم عن أبى مجاز عن قيس بن عباد عن أبى سعيد عن النبى ﷺ أنه قال « من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين» ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى سننه عن الحاكم ، ثم قال البيهقى ورواه يحيى بن كثير عن شعبة عن أبى هاشم باسناده أن النبى ﷺ قال « من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نوراً يوم القيامة » وفى المختارة للحافظ الضياء المقدسى عن عبدالله بن مصعب عن منظور بن زيد بن خالد الجهنى عن على بن الحسين عن أبيه عن على مرفوعا: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة ، وإن خرج الدجال عصم منه .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

قد تقدم فى أول التفسير أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها فإنه المحمود على كل حال وله الحمد فى الأولى والآخرة ولهذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج فيه ولازيغ بل يهدى إلى صراط مستقيم واضحا بينا جليا نذيرا للكافرين بشيرا للمؤمنين ولهذا قال (ولم يجعل له عوجا) أى لم يجعل فيه اعوجاجا ولازيغا ولا ميلا بل جعله معتدلا مستقيما ولهذا قال (قيما) أى مستقيما (لينذر بأسا شديدا من لدنه) أى لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بأسا شديدا عقوبة عاجلة فى الدنيا وآجلة فى الأخرى (من لدنه) أى من عند الله الذى لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد (ويبشر المؤمنين) أى بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح (أن لهم أجراً حسنا) أى مثوبة عند الله جميلة (ماكثين فيه) فى ثوابهم عند الله وهو الجنة خالدين فيه (أبداً) دائما لازوال له ولا انقضاء . وقوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) قال ابن إسحاق وهم مشركو العرب فى قولهم نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله (مالهم به من علم) أى بهذا القول الذى افتروه واتفكوه (ولا لآبائهم) أى لأسلافهم (كبرت كلمة) نصب على التمييز تقديره كبرت كلمتهم هذه . وقيل على التعجب تقديره أعظم بكلمتهم كلمة كما تقول أكرم بزيد رجلا قاله بعض البصريين ، وقرأ ذلك بعض قراء مكة كبرت كلمة كما يقال عظم قولك وكبر شأنك ، والمعنى على قراءة الجمهور أظهر فإن هذا تبشيع لمقالتهم واستعظام لافكهم ولهذا قال (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) أى ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم ولهذا قال (إن يقولون إلا كذبا) وقد ذكر محمد بن إسحق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال حدثنى شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ماليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال فقالوا لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ،

وسلوه عن الروح ماهوا ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا فى أمره مابدا لكم ، فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا يامحمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ « أخبركم غدا عما سألتم عنه » ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لايحدث الله له فى ذلك وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لايخبرنا بشيء عما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحى عنه وشق عليه مايتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ماسألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل (ويسئلونك عن الروح ؟ قال الروح) الآية .

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا * إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾

يقال تعالى مسليا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه فى حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه كما قال تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقال (ولاتحزن عليهم) وقال (لعلك باخع نفسك أن لايكونوا مؤمنين) باخع أى مهلك نفسك بحزنك عليهم ولهذا قال (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعنى القرآن (أسفا) يقول لاتهلك نفسك أسفا ، قال قتادة : قاتل نفسك غضبا وحزنا عليهم ، وقال مجاهد جزعا والمعنى متقارب أى لاتأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا داراً فانية مزينة بزينة زائلة ، وإنما جعلها دار اختبار لادار قرار فقال (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) قال قتادة عن أبى نضرة عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها فقال تعالى (وإنا لجاعلون ما عليها صعيد جرزا) أى وإنا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار فنجعل كل شيء عليها هالكا صعيدا جرزا لاينبت ولاينتفع به كما قال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) يقول يهلك كل شيء عليها ويبيد وقال مجاهد صعيدا جرزا بلقعا ، وقال قتادة : الصعيد الأرض التى ليس فيها شجر ولا نبات ، وقال ابن زيد : الصعيد الأرض التى ليس فيها شيء ألا ترى إلى قوله تعالى (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) وقال محمد بن إسحق (وإنا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا) يعنى الأرض وإن ماعليها لفان وبائد وإن المرجع لألى الله فلا تأس ولا يحزنك ماتسمع وترى .

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾

هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار ثم بسطها بعد ذلك فقال (أم حسبت) يعنى يامحمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أى ليس أمرهم عجيبا فى قدرتنا وسلطاننا فإن

خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف كما قال ابن جريج عن مجاهد (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً) يقول قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك ، وقال العوفى عن ابن عباس (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يقول الذى آتيناك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم ، وقال محمد بن إسحق ما أظهرت من حجتى على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرقيم ، وأما الكهف فهو الغار فى الجبل وهو الذى لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون ، وأما الرقيم فقال العوفى عن ابن عباس هو واد قريب من أيلة وكذا قال عطية العوفى وقتادة . وقال الضحاك أما الكهف فهو غار الوادى والرقيم اسم الوادى وقال مجاهد الرقيم كتاب بنيانهم ويقول بعضهم هو الوادى الذى فيه كهفهم . وقال عبد الرزاق أخبرنا الثورى عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله الرقيم كان يزعم كعب أنها القرية ، وقال ابن جريج عن ابن عباس الرقيم الجبل الذى فيه الكهف ، وقال ابن إسحق عن عبدالله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اسم ذلك الجبل بنجلوس ، وقال ابن جريج أخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى أن اسم جبل الكهف بنجلوس واسم الكهف حيزم والكلب حمران . وقال عبدالرزاق أنبأنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال القرآن أعلمه إلا حنانا والأواه والرقيم وقال ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما أدرى ما الرقيم ؟ كتاب أم بنيان ؟ وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : الرقيم الكتاب ، وقال سعيد ابن جبير : الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : الرقيم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم . وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير ، قال الرقيم فعيل بمعنى مرقوم كما يقال للمقتول قتيل وللمجروح جريح والله أعلم ، وقوله (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا) يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم فلجأ إلى غار فى جبل ليختفوا عن قومهم فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم (ربنا آتنا من لدنك رحمة) أى هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا (وهيىء لنا من أمرنا رشدا) أى وقدر لنا من أمرنا رشدا هذا أى اجعل عاقبتنا رشداً كما جاء فى الحديث « وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشدا » وفى المسند من حديث بسر بن أرطاة عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو « اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة » وقوله (فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا) أى ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة (ثم بعثناهم) أى من رقدتهم تلك وخرج أحدهم بدراهم معه ليشترى لهم بها طعاما يأكلونه كما سيأتى بيانه وتفصيله ولهذا قال (ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين) أى المختلفين فيهم (أحصى لما لبثوا أمدا) قيل عدداً ، وقيل غاية فان الأمد الغاية كقوله * سبق الجواد إذا استولى على الأمد *

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾

من ههنا شرع فى بسط القصة وشرحها فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا فى دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً ، وأما

المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل . وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً ، وقال مجاهد بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة يعني الحلق فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم فآمنوا بربهم أي اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو (وزدناهم هدى) استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص ، ولهذا قال تعالى (وزدناهم هدى) كما قال (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) وقال (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك . وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فالله أعلم ، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فانهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم ، وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذي القرنين وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه متقدم على دين النصرانية والله أعلم . وقوله (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) يقول تعالى وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ماكانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة فانه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يوما في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم جلس تحت ظل شجرة فجاء الآخر فجلس إليها عنده وجاء الآخر فجلس إليهما وجاء الآخر فجلس إليهم وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقا من حديث يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ والناس يقولون : الجنسية علة الضم ، والغرض أنه جعل كل أحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفا منهم ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم تعلمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء فليظهر كل واحد منكم بأمره . فقال آخر أما أنا فاني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت أنه باطل وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيء هو الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وقال الآخر وأنا والله وقع لي كذلك وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يداً واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً) ولن لنفي التأبيد أي لا يقع منا هذا أبدا لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلا ولهذا قال عنهم (لقد قلنا إذا شططا) أي باطلا وكذبا وبهتانا (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلا واضحا صحيحا (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يقولون بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه ، وكان هذا من لطف الله بهم فانهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفا على دينه كما جاء في الحديث « يوشك

أن يكون خير مال أحدكم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك في قوله (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) أي وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقوهم أيضاً بأبدانكم (فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم (ويهيئ لكم من أمركم) الذي أنتم فيه (مرفقاً) أي أمرا ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هاربا إلى الكهف فأووا اليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال إنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجآ إلى غار ثور وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه وعندها قال النبي ﷺ حين رأى جزع الصديق في قوله يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال « يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » وقد قال تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف ، وقد قيل إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك ، وفي هذا نظر والله أعلم . فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيا كما قال تعالى .

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾

فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي يتقلص الفيء يمنة كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة (تزاور) أي تميل وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ، ولهذا قال (وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ماقلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل اليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور الفيء يمينا ولا شمالا ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ماذكرناه ولله الحمد ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة تقرضهم تتركهم ، وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منافهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا فتقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريب من أيلة ، وقال ابن إسحق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأي بلاد الله هو ، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله اليه فقد قال صلى الله عليه وسلم « ماتركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به » فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه فقال (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم) قال مالك عن بن زيد بن أسلم تميل (ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي في متسع منه داخلا بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس (ذلك من آيات الله) حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم ، ولهذا قال تعالى (ذلك من آيات الله) ثم قال (من يهد الله فهو المهتد) الآية أي هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم فإنه من هداه الله اهتدى ومن أضله فلا هادي له .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى فاذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها ، ولهذا قال تعالى (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) وقد ذكر عن الذئب أنه ينام فيطبق عينا ويفتح عينا ثم يفتح هذه ويطبق هذه وهو راقد كما قال الشاعر :

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى الرزايا فهو يقظان نائم

وقوله تعالى (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال بعض السلف يقلبون فى العام مرتين قال ابن عباس لولم يقلبوا لأكلتهم الأرض وقوله (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة: الوصيد الفناء ، وقال ابن عباس بالباب وقيل بالصعيد وهو التراب والصحيح انه بالفناء وهو الباب ومنه قوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة ويقال وصيد وأصيد ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب ، قال ابن جريج يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب كما ورد فى الصحيح ولا صورة ولا جنب ولا كافر كما ورد به الحديث الحسن . وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحبة الاخيار فانه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن . وقد قيل إنه كان كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه وقيل كلب طباخ الملك وقد كان وافقهم على الدين وصحبه كلبه فالله أعلم ، وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة هام بن الوليد الدمشقى حدثنا صدقة بن عمر الغسانى حدثنا عباد المنقرى سمعت الحسن البصرى يقول كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير واسم هدهد سليمان عليه السلام عنفز واسم كلب أصحاب الكهف قطمير واسم عجل بنى إسرائيل الذى عبدوه بهموت . وهبط آدم عليه السلام بالهند وحواء بجدة وإبليس بدست بيسان والحية بأصفهان ، وقد تقدم عن شعيب الجبائى أنه سماه حمران واختلفوا فى لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها بل هى مما ينهى عنه فإن مستندها رجم بالغيب ، وقوله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) أى أنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لايقع نظر أحد عليهم إلا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب أجله وتنقضى رقدتهم التى شاء تبارك وتعلى فيهم لما له فى ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة .

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾

يقول تعالى كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيآتهم شيئاً وذلك بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين ولهذا تساءلوا بينهم (كم لبثتم ؟) أى كم رقدتم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) لأنه كان دخولهم إلى الكهف فى أول نهار واستيقاظهم كان فى آخر نهار ولهذا استدركوا فقالوا (أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) أى الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع تردد فى كثرة نومهم فالله أعلم ثم عدلوا إلى الأهم فى أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب فقالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم)

أى فضتكم هـذه وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها فتصدقوا منها وبقى منها فلهذا قالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة) أى مدينتكم التى خرجتم منها والألف واللام للعهد (فلينظر أيها أزكى طعاماً) أى أطيب طعاماً كقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً) وقوله (قد أفلح من تزكى) ومنه الزكاة التى تطيب المال وتطهره وقيل أكثر طعاما ومنه زكا الزرع إذا كثر قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع أزكى من ثلاث وأطيب

والصحيح الأول لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلا ، وقوله (وليتلطف) أى فى خروجه وذهابه وشرائه وإيابه يقولون وليختف كل مايقدر عليه (ولا يشعرن) أى ولا يعلمن (بكم أحدا * إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم) أى إن علموا بمكانكم (يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم) يعنون أصحاب دقيانوس يخافون منهم أن يطلعوا على مكانكم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم فى ملتهم التى هم عليها أو يموتوا وإن وافقتموهم على العود فى الدين فلا فلاح لكم فى الدنيا ولا فى الآخرة ولهذا قال (ولن تفلحوا إذا أبدا)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾

يقول تعالى (وكذلك أعثرنا عليهم) أى أطلعنا عليهم الناس (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها) ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك فى البعث وفى أمر القيامة ، وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ، وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة فى شراء شىء لهم ليأكلوه تنكر وخرج يمشى فى غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة وذكروا أن اسمها دقسوس وهو يظن أنه قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وأمة بعد أمة وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر :

أما الديار فإنها كديارهم وأرى رجال الحى غير رجاله

فجعل لايرى شيئا من معالم البلد التى يعرفها ولا يعرف أحدا من أهلها لاخواصها ولا عوامها فجعل يتحير فى نفسه ويقول لعل بى جنونا أومساً أو أناحالم ويقول : والله ما بى شىء من ذلك وإن عهدى بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة . ثم قال : إن تعجيل الخروج من ههنا لأولى لى ، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه مامعه من النفقة وسأله أن يبيعه بها طعاما فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزا فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وممن أنت ؟ فجعل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدى بها عشية أمس وفيها دقيانوس فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولى أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير فى حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف — ملك البلد وأهلها — حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعونى حتى أتقدمكم فى الدخول لأعلم أصحابى فدخل ، فيقال إنهم لايدرون كيف ذهب فيه وأخفى الله عليهم خبرهم ، ويقال بل دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلما فيما قيل واسمه يندوسيس ففرحوا به وآنسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل فالله أعلم . قال قتادة : غزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بكهف فى بلاد الروم فرأوا فيه عظاما فقال قائل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلثمائة سنة رواه ابن جرير وقوله (وكذلك أعثرنا عليهم) أى كما أرقدناهم وأيقظناهم بهيآتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أى فى أمر القيامة فمن مثبت لها ومن منكر فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف

حجة لهم وعليهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) أى سدوا عليهم باب كهفهم وذروهم على حالهم (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) حكى ابن جرير فى القائلين ذلك قولين (أحدهما) أنهم المسلمون منهم (والثانى) أهل الشرك منهم فالله أعلم ، والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر ، لأن النبى ﷺ قال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد » يحذر مافعلوا وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال فى زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التى وجدوها عنده فيها شىء من الملاحم وغيرها

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن اختلاف الناس فى عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال فدل على أنه لاقائل برابع ولما ضعف القولين الأولين بقوله (رجما بالغيب) أى قولا بلا علم كمن يرمى إلى مكان لايعرفه فإنه لايكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد . ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله (وثامنهم كلبهم) فدل على صحته وأنه هو الواقع فى نفس الأمر وقوله (قل ربى أعلم بعدتهم) إرشاد إلى أن الأحسن فى مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى إذ لا احتياج إلى الخوض فى مثل ذلك بلا علم لكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا . وقوله(ما يعلمهم إلا قليل) أى من الناس . قال قتادة قال ابن عباس أنا من القليل الذى استثنى الله عزوجل كانوا سبعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخراسانى عنه أنه كان يقول أنا ممن استثنى الله عزوجل ويقول عدتهم سبعة . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبدالرحمن حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (ما يعلمهم إلا قليل) قال أنا من القليل كانوا سبعة فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه

وقال محمد بن إسحق بن يسار عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة سنه وضح الورق . قال ابن عباس فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم فى عبادة الله يبكون ويستغيثون بالله وكانوا ثمانية نفر: مكسلمينا وكان أكبرهم وهو الذى كلم الملك عنهم ومليخا ومرطونس وكسطونس وبيرونس ودنيموس ويطبونس وقالوش هكذا وقع فى هذه الرواية ويحتمل أن هذا من كلام ابن إسحق ومن بينه وبينه فإن الضحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية وقد تقدم عن شعب الجبائى أن اسم كلبهم حمران وفى تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر فى صحته والله أعلم فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب ، وقد قال تعالى (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) أى سهلا هيناً فان الأمر فى معرفة ذلك لايترتب عليه كبير فائدة (ولاتستفت فيهم منهم أحدا) أى فإنهم لاعلم لهم بذلك إلا مايقولونه من تلقاء أنفسهم رجما بالغيب أى من غير استناد إلى كلام معصوم ، وقد جاءك الله يامحمد بالحق الذى لاشك فيه ولامرية فيه فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾

هذا إرشاد من الله تعالى لرسول الله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شىء ليفعله فى المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عزوجل علام الغيوب الذى يعلم ما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على سبعين امرأة — وفى رواية تسعين امرأة وفى رواية مائة امرأة — تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل فى سبيل الله فقيل له — وفى رواية قال

له الملك ـ قل إن شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان ، فقال رسول الله ﷺ ـ والذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته » وفى رواية « ولقاتلوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون » وقد تقدم فى أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية فى قول النبى ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف «غداً أجيبكم» فتأخر الوحى خمسة عشر يوما ، وقد ذكرناه بطوله فى أول السورة فأغنى عن إعادته وقوله (واذكر ربك إذا نسيت) قيل معناه إذا نسيت الاستثناء فاستثن عند ذكرك له قاله أبو العالية والحسن البصرى ، وقال هشيم عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس فى الرجل يحلف قال له أن يستثنى ولو إلى سنة وكان يقول (واذكر ربك إذا نسيت) ذلك قيل للاعمش سمعته عن مجاهد فقال حدثنى به ليث بن أبى سليم يرى ذهب كسائى هذا ورواه الطبرانى من حديث أبى معاوية عن الأعمش به . ومعنى قول ابن عباس أنه يستثنى ولو بعد سنة أى إذا نسى أن يقول فى حلفه أو فى كلامه إن شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالسنة له أن يقول ذلك ليكون آتيا بسنة الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث قاله ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك لا أن يكون رافعا لحنث اليمين ومسقطا للكفارة وهذا الذى قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم وقال عكرمة (واذكر ربك إذا نسيت) إذا غضبت وقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحارث الجبلى حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد العزيز بن حصين عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله * واذكر ربك إذا نسيت) أن تقول إن شاء الله ، وروى الطبرانى أيضا عن ابن عباس فى قوله (واذكر ربك إذا نسيت) الاستثناء فاستثن إذا ذكرت ، وقال هى خاصة برسول الله ﷺ وليس لأحد منا أن يستثنى إلا فى صلة من يمينه ثم قال انفرد به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين ، ويحتمل فى الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسى الشىء فى كلامه إلى ذكر الله تعالى لأن النسيان منشؤه من الشيطان كما قال فتى موسى (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) وذكر الله تعالى يطرد الشيطان فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان فذكر الله تعالى سبب للذكر ولهذا قال (واذكر ربك إذا نسيت) وقوله (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً) أى إذا سئلت عن شىء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه إليه فى أن يوفقك للصواب والرشد فى ذلك ، وقيل فى تفسيره غير ذلك والله أعلم .

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾

هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار مالبث أصحاب الكهف فى كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهى ثلثمائة سنة بالشمسية فان تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين فلهذا قال بعد الثلثمائة وازدادوا تسعا ، وقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أى إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم فى ذلك وتوقيف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشىء بل قل فى مثل هذا (الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض) أى لا يعلم ذلك إلا هو ومن أطلعه عليه من خلقه وهذا الذى قلناه عليه غير واحد من علماء التفسير كمجاهد وغير واحد من السلف والخلف وقال قتادة فى قوله (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين) الآية هذا قول أهل الكتاب وقد رده الله تعالى بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) قال وفى قراءة عبد الله وقالوا ولبثوا يعنى أنه قاله الناس وهكذا قال قتادة ومطرف بن عبد الله وفى هذا الذى زعمه قتادة نظر فان الذى بأيدى أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة سنة من غير تسع يعنون بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال وازدادوا تسعا والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله لا حكاية عنهم وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هى شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتج بها

والله أعلم وقوله (أبصر به وأسمع) أى إنه لبصير بهم سميع لهم . قال ابن جرير وذلك فى معنى المبالغة فى المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شىء . ثم روى عن قتادة فى قوله (أبصر به وأسمع) فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع . وقال ابن زيد (أبصر به وأسمع) يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا وقوله (مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا) أى انه تعالى هو الذى له الخلق والأمر الذى لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس

﴿ وَاتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً * وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس (لا مبدل لكلماته) أى لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل . وقوله (ولن تجد من دونه ملتحدا) عن مجاهد ملتحدا قال ملجأ وعن قتادة ولياولا مولى قال ابن جرير يقول إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فانه لا ملجأ لك من الله كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وقال (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أى سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة . وقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) أى اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء ، يقال إنها نزلت فى أشراف قريش حين طلبوا من النبى ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) الآية وأمره أن يصبر نفسه فى الجلوس مع هؤلاء فقال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) الآية وقال مسلم فى صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن عبد الله الأسدى عن إسرائيل عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد هو ابن أبى وقاص قال كنا مع النبى ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) انفرد بإخراجه مسلم دون البخارى . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى التياح قال سمعت أبا الجعد يحدث عن أبى أمامة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص فأمسك فقال رسول الله ﷺ « قص فلأن أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » وقال أحمد أيضا حدثنا هاشم ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت كردوس بن قيس وكان قاص العامة بالكوفة يقول أخبرنى رجل من أصحاب بدر أنه سمع النبى ﷺ يقول « لأن أقعد فى مثل هذا المجلس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » قال شعبة فقلت أى مجلس قال كان قاصا وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا محمد حدثنا يزيد بن أبان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلى من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا » فحسبنا دياتهم ونحن فى مجلس أنس فبلغت ستة وتسعين ألفا وههنا من يقول أربعة من ولد إسماعيل والله ما قال إلا ثمانية دية كل واحد

منهم اثنا عشر ألفاً . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن إسحق الأهوازى حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا عمرو ابن ثابت عن على بن الأقمر عن الأغر أبى مسلم وهو الكوفى أن رسول الله ﷺ مر برجل يقرأ سورة الكهف فلما رأى النبى ﷺ سكت فقال النبى ﷺ « هذا المجلس الذى أمرت أن أصبر نفسى معهم » هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن على بن الأقمر عن الأغر مرسلا وحدثنا يحيى بن المعلى عن منصور حدثنا محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن على بن الأقمر عن الأغر أبى مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد قالا: جاء رسول الله ﷺ ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف فسكت فقال رسول الله ﷺ « هذا المجلس الذى أمرت أن أصبر نفسى معهم » وقال الإمام أحمد ثنا محمد بن بكير ثنا ميمون المرئى ثنا ميمون ابن سياه عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » تفرد به أحمد رحمه الله . وقال الطبرانى ثنا إسماعيل بن الحسن ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبى حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : نزلت على رسول الله ﷺ وهو فى بعض أبياته (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) الآية فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال «الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معهم » عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبى داود فى الصحابة وأما أبوه فمن سادات الصحابة رضى الله عنهم . وقوله (ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) قال ابن عباس ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعنى تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا (وكان أمره فرطا) أى أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ولا تكن مطيعا له ولا محبا لطريقته ولا تغبط بما هو فيه كما قال (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ وقل يا محمد للناس هذا الذى جئتكم به من ربكم هو الحق الذى لا مرية فيه ولا شك (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ولهذا قال (إنا أعتدنا) أى أرصدنا (للظالمين) وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه (ناراً أحاط بهم سرادقها) أى سورها . قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال « لسرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة » وأخرجه الترمذى فى صفة النار وابن جرير فى تفسيره من حديث دراج أبى السمح به

وقال ابن جريج قال ابن عباس (أحاط بهم سرادقها) قال حائط من نار . قال ابن جرير : حدثنى الحسين بن نصر والعباس بن محمد قالا حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن أمية حدثنى محمد بن حيى بن يعلى عن صفوان بن يعلى عن يعلى ابن أمية قال : قال رسول الله ﷺ « البحر هو جهنم » قال فقيل له كيف ذلك ؟ فتلا هذه الآية أو قرأ هذه الآية (ناراً أحاط بهم سرادقها) ثم قال « والله لا أدخلها أبدا أو ما دمت حيا لا تصيبنى منها قطرة » . وقوله (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه) الآية قال ابن عباس : المهل الماء الغليظ مثل دردى الزيت ، وقال مجاهد هو كالدم والقيح وقال عكرمة هو الشىء الذى انتهى حره ، وقال آخرون هو كل شىء أذيب . وقال قتادة : أذاب ابن مسعود شيئا من الذهب فى أخدود فلما انماع وأزبد قال : هذا أشبه شىء بالمهل . وقال الضحاك : ماء جهنم أسود

وهى سوداء وأهلها سود ، وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفى الآخر فان المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود منتن غليظ حار ولهذا قال (يشوى الوجوه) أى من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد بإسناده المتقدم فى سرادق النار عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال « ماء كالمهل ـ قال ـ كعكر الزيت فإذا قربه إليه سقطت فروة وجهه فيه » وهكذا رواه الترمذى فى صفة النار من جامعه من حديث رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به. ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين وقد تكلم فيه من قبل حفظه هكذا قال : وقد رواه الإمام أحمد كما تقدم عن حسن الأشيب عن ابن لهيعة عن دراج والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك وبقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر عن أبى أمامة عن النبى ﷺ فى قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال : « يقرب إليه فيتكرهه فإذا قرب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه ، يقول الله تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب) » وقال سعيد بن جبير : إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقوم فيأكلون منها فاختلبت جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذى قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التى قد سقطت عنها الجلود ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات الذميمة القبيحة (بئس الشراب) أى بئس هذا الشراب كما قال فى الآية الأخرى (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) وقال تعالى (تسقى من عين آنية) أى حارة كما قال تعالى (وبين حميم آن) (وساءت مرتفقا) أى وساءت النار منزلا ومقيلا ومجتمعا وموضعا للارتفاق كما قال فى الآية الأخرى (إنها ساءت مستقرا ومقاما)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة فلهم جنات عدن والعدن الاقامة (تجرى من تحتهم الأنهار) أى من تحت غرفهم ومنازلهم . قال فرعون (وهذه الأنهار تجرى من تحتى) الآية (يحلون) أى من الحلية (فيها من أساور من ذهب) وقال فى المكان الآخر (ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وفصله ههنا فقال (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق) فالسندس لباس رفاع رقاق كالقمصان وما جرى مجراها وأما الإستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق وقوله (متكئين فيها على الأرائك) الاتكاء قيل الاضطجاع وقيل التربع فى الجلوس وهو أشبه بالمراد ههنا ومنه الحديث الصحيح « أما أنا فلا آكل متكئا » فيه القولان . والأرائك جمع أريكة وهى السرير تحت الحجلة والحجلة كما يعرفه الناس فى زماننا هذا بالبشخانة والله أعلم . قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة (على الأرائك) قال هى الحجال قال معمر وقال غيره السرر فى الحجال . وقوله (نعم الثواب وحسنت مرتفقا) أى نعمت الجنة ثوابا على أعمالهم وحسنت مرتفقا أى حسنت منزلا ومقيلا ومقاما كما قال فى النار (بئس الشراب وساءت مرتفقا) وهكذا قابل بينهما فى سورة الفرقان فى قوله (إنها ساءت مستقرا ومقاما) ثم ذكر صفات المؤمنين فقال (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقمون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما)

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا *

كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾

يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم فضرب لهم ولهم مثلا برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أى بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة فى جنباتهما وفى خلالهما الزروع وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل فى غاية الجودة ولهذا قال (كلتا الجنتين آتت أكلها) أى أخرجت ثمرها (ولم تظلم منه شيئا) أى ولم تنقص منه شيئا (وفجرنا خلالهما نهرا) أى والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا (وكان له ثمر) قيل المراد به المال روى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة الأخرى (وكان له ثمر) بضم الثاء وتسكين الميم فيكون جمع ثمرة كخشبة وخشب . وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم فقال أى صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أى يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أى أكثر خدما وحشما وولدا . قال قتادة تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر وقوله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أى بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة فى جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ولهذا قال (وما أظن الساعة قائمة) أى كائنة (ولئن رددت إلى ربى لأجدن منها منقلبا) أى ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لى هناك أحسن من هذا الحظ عند ربى ولولا كرامتى عليه ما أعطانى هذا كما قال فى الآية الأخرى (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) وقال (أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) أى فى الدار الآخرة تألى على الله عز وجل . وكان سبب نزولها فى العاص بن وائل كما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا * لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا * وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظا له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار (أكفرت بالذى خلقك من تراب) الآية وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذى خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) الآية أى كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه فانه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوما ثم وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شىء من المخلوقات لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله لا هو خالق كل شىء ولهذا قال المؤمن (ولكنا هو الله ربى) أى لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية (ولا أشرك بربى أحدا) أى بل هو الله المعبود وحده لا شريك له ثم قال :

(ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله ، لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) هذا تحضيض وحث على ذلك أى هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد مالم يعطه غيرك وقلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله ولهذا قال بعض السلف من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لاقوة إلا بالله وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة وقد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أومال أوولد فيقول ما شاء الله لاقوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت » وكان يتأول هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) قال الحافظ أبو الفتح الأزدى عيسى بن عون عن عبد الملك ابن زرارة عن أنس لايصح حديثه . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج حدثنى شعبة عن عاصم ابن عبيد الله عن عبيد مولى أبى رهم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا قوة إلا بالله » تفرد به أحمد، وقد ثبت فى الصحيح عن أبى موسى أن رسول الله ﷺ قال له « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله » وقال الإمام أحمد حدثنا بكير بن عيسى حدثنا أبو عوانة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون قال : قال أبو هريرة قال لى رسول الله ﷺ « يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش؟ » قال : قلت فداك أبى وأمى قال « أن تقول لا قوة إلا بالله » قال أبو بلج وأحسب أنه قال « فان الله يقول أسلم عبدى واستسلم » قال فقلت لعمرو قال أبو بلج قال عمرو قلت لأبى هريرة لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لا إنها فى سورة الكهف (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله) وقوله (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) أى فى الدار الآخرة (ويرسل عليها) أى على جنتك فى الدنيا التى ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى (حسبانا من السماء) قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهرى أى عذابا من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال (فتصبح صعيدا زلقا) أى بلقعا ترابا أملس لا ينبت فيه قدم وقال ابن عباس كالجرز الذى لا ينبت شيئا وقوله (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائرا فى الأرض وهو ضد النابع الذى يطلب وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين) أى جار وسائح وقال ههنا (أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه كما قال الشاعر :

تظل جياده نوحا عليه * تقلده أعنتها صفوفا بمعنى ناثحات عليه

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

يقول تعالى (وأحيط بثمره) بأمواله أو بثماره على القول الآخر والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التى اغتر بها وألهته عن الله عز وجل (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) وقال قتادة يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الأموال التى أذهبها عليها (ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا * ولم تكن له فئة) أى عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز (ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا * هنالك الولاية لله الحق) اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على قوله (وما كان منتصرا هنالك) أى فى ذلك الموطن الذى حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ويبتدىء بقوله (الولاية لله الحق) ومنهم من يقف على (وما كان منتصرا) ويبتدىء بقوله (هنالك الولاية لله الحق) ثم اختلفوا فى قراءة الولاية فمنهم من فتح الواو من الولاية فيكون المعنى هنالك الموالاة لله أى هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب كقوله (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به

مشركين) وكقوله إخباراً عن فرعون (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لاإله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ومنهم من كسر الواو من الولاية أى هنالك الحكم لله الحق ثم منهم من رفع الحق على أنه نعت للولاية كقوله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عزوجل كقوله (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) الآية ولهذا قال تعالى (هو خير ثواباً) أى جزاء (وخير عقبا) أى الأعمال التى تكون لله عزوجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا * ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

يقول تعالى (واضرب) يامحمد للناس (مثل الحياة الدنيا) فى زوالها وفنائها وانقضائها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) أى مافيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا كله (أصبح هشيما) يابسا (تذروه الرياح) أى تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال (وكان الله على كل شىء مقتدرا) أى هو قادر على هذه الحال وهذه الحال وكثيرا مايضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما قال تعالى فى سورة يونس (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام) الآية وقال فى الزمر (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) الآية وقال فى سورة الحديد (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الآية وفى الحديث الصحيح « الدنيا خضرة حلوة » وقوله (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) كقوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب) الآية وقال تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) أى الاقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم ، ولهذا قال (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف الباقيات الصالحات الصلوات الخمس ، وقال عطاء بن أبى رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس : الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر ، وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ماهى فقال هى لاإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل أنه سمع الحارث مولى عثمان رضى الله عنه يقول جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا بماء فى إناء أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئى هذا ثم قال « من توضأ وضوئى هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح ثم صلى العصر غفر له مابينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له مابينها وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له مابينها وبين المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له مابينها وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات » قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات ياعثمان ؟ قال هى لاإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم تفرد به ، وروى مالك عن عمارة بن عبد الله بن صياد عن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات : سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال محمد بن عجلان عن عمارة قال سألنى سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقلت الصلاة والصيام فقال لم تصب فقلت الزكاة والحج فقال لم تصب ولكنهن الكلمات الخمس لاإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله . وقال ابن جريج أخبرنى عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال لاإله إلا الله والله أكبر

وسبحان الله ولا حول ولاقوة إلابالله ، قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك ، وقال مجاهد : الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولاإله إلاالله والله أكبر . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله (والباقيات الصالحات) قال لا إله إلاالله والله أكبر والحمدلله وسبحان الله ، هن الباقيات الصالحات ، قال ابن جرير : وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزار عن أبي نصر التمار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات » قال وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل وما هن يارسول الله ؟ قال «الملة» قيل وما هي يارسول الله ؟ قال« التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولاقوة إلا بالله » وهكذا رواه أحمد من حديث دراج به

قال وهب أخبرني أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبدالله حدثه قال : أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي في حاجة فقال قل له القني عند زاوية القبر فإن لي إليك حاجة قال فالتقيا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم ماتعد الباقيات الصالحات ؟ فقال لاإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولاقوة إلا بالله ، فقال له سالم : متى جعلت فيها لاحول ولا قوة إلابالله ؟ قال : مازلت أجعلها قال فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع قال فأبيت ؟ قال سالم أجل فأبيت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول « عرج بي إلى السماء فرأيت إبراهيم عليه السلام فقال ياجبريل من هذا الذي معك ؟ فقال محمد فرحب بي وسهل ثم قال مرأمتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة فقلت وماغراس الجنة فقال لاحول ولاقوة إلابالله »

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن يزيد عن العوام حدثني رجل من الأنصار من آل النعمان بن بشير قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرفع بصره إلى السماء ثم خفض حتى ظننا أنه قد حدث في السماء شيء ثم قال : « أما انه سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم ومالأهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه . ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولاإله إلاالله والله أكبر هن الباقيات الصالحات » .

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن مولى لرسول الله ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده ـ وقال ـ بخ بخ لخمس من لقي الله مستيقنا بهن دخل الجنة : يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت وبالحساب » وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس رضي الله عنه في سفر فنزل منزلا فقال لغلامه ائتنا بالشفرة نعبث بها فأنكرت عليه فقال ماتكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها علي واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليما ، وأسألك لسانا صادقا ، وأسألك من خير ماتعلم وأعوذ بك من شر ماتعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب » ثم رواه أيضاً النسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه . وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمر بن الحسين عن يونس بن نفيع الجدلي عن سعد بن جنادة رضي الله عنه قال : كنت في أول من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف فخرجت من أعلى الطائف من السراة غدوة فأتيت مني عند العصر فتصاعدت في الجبل ثم هبطت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وعلمني (قل هو الله أحد) و (إذا زلزلت) وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر

وقال « هن الباقيات الصالحات » وبهذا الإسناد « من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد لله مائة مرة والله أكبر مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة غفرت ذنوبه إلا الدماء فانها لا تبطل » وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (والباقيات الصالحات) قال هى ذكر الله قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التى تبقى لأهلها فى الجنة ما دامت السموات والأرض . وقال العوفى عن ابن عباس : هى الكلام الطيب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هى الأعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير رحمه الله

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾

يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظام كما قال تعالى : (يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال سيرا) أى تذهب من أماكنها وتزول كما قال تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) وقال تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) يذكر تعالى أنه تذهب الجبال وتتساوى المهاد وتبقى الأرض قاعاً صفصفاً أى سطحاً مستويا لا عوج فيه ولا أمتا أى لا وادى ولا جبل ولهذا قال تعالى (وترى الأرض بارزة) أى بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد ولا مكان يوارى أحدا بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية . قال مجاهد وقتادة (وترى الأرض بارزة) لا حجر فيها ولا غيابة قال قتادة :لا بناء ولا شجر . وقوله (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) أى وجمعناهم الأولين منهم والآخرين فلم نترك منهم أحدا لا صغيرا ولا كبيرا كما قال (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) وقال(ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقوله (وعرضوا على ربك صفا) يحتمل أن يكون المراد أن جميع الخلائق يقومون بين يدى الله صفا واحدا كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) ويحتمل أنهم يقومون صفوفا صفوفا كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقوله (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) هذا تقريع للمنكرين للمعاد ، وتوبيخ لهم على رءوس الأشهاد، ولهذا قال تعالى مخاطبا لهم (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) أى ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ولا أن هذا كائن

وقوله (ووضع الكتاب) أى كتاب الأعمال الذى فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) أى من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة (ويقولون يا ويلتنا) أى يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا فى أعمارنا (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) أى لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وإن صغر إلا أحصاها أى ضبطها وحفظها . وروى الطبرانى بإسناده المتقدم فى الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفرا من الأرض ليس فيه شىء فقال النبى ﷺ « اجمعوا من وجد عودا فليأت به ومن وجد حطبا أو شيئا فليأت به » قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاما فقال النبى ﷺ « أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاة عليه » وقوله (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أى من خير وشر كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا)الآية

وقال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال تعالى (يوم تبلى السرائر) أى تظهر المخبآت والضمائر. قال الإمام أحمد حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به » أخرجاه فى الصحيحين وفى لفظ « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلان بن فلان » وقوله (ولا يظلم ربك أحدا) أى فيحكم بين عباده فى أعمالهم جميعا ولا يظلم أحدا من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصى ثم ينجى أصحاب المعاصى ويخلد فيها الكافرين وهو الحاكم الذى لا يجور ولا يظلم قال تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) الآية : وقال (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا — إلى قوله — حاسبين) والآيات فى هذا كثيرة وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكى عن عبد الله بن محمد ابن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغنى حديث عن رجل سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فاشتريت بعيرا ثم شددت عليه رحلا فسرت عليه شهرا حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال ابن عبد الله قلت نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقنى واعتنقته فقلت حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ فى القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله عزوجل الناس يوم القيامة — أو قال العباد — عراة غرلا بهما » قلت وما بهما ؟ قال « ليس معهم شىء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة قال : قلنا كيف وإنما نأتى الله عزوجل حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال : « بالحسنات والسيئات » وعن شعبة عن العوام بن مزاحم عن أبى عثمان عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة » رواه عبد الله بن الإمام أحمد وله شواهد من وجوه أخر وقد ذكرناها عند قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) وعند قوله تعالى (إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون)

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾

يقول تعالى منبها بنى آدم على عداوة إبليس لهم ولأبيهم من قبلهم ومقرعا لمن اتبعه منهم وخالف خالقه ومولاه وهو الذى أنشأه وابتداه، وبألطافه رزقه وغذاه، ثم بعد هذا كله والى إبليس وعادى الله، فقال تعالى (وإذ قلنا للملائكة) أى لجميع الملائكة كما تقدم تقديره فى أول سورة البقرة (اسجدوا لآدم) أى سجود تشريف وتكريم وتعظيم كما قال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) وقوله (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) أى خانه أصله فانه خلق من مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال « خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل فى خطابهم وعصى بالمخالفة » ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن أى على أنه خلق من نار كما قال (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) قال الحسن البصرى ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه ، وقال الضحاك عن ابن عباس: كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم

الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنه وخلقت الملائكة من نور غيرهذا الحى قال وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا التهبت وقال الضحاك أيضا عن ابن عباس كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء فوقع من ذلك فى قلبه كبر لا يعلمه إلا الله واستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم (فاستكبر وكان من الكافرين) قال ابن عباس قوله (كان من الجن) أى من خزان الجنان كما يقال للرجل مكى ومدنى وبصرى وكوفى وقال ابن جريج عن ابن عباس نحو ذلك ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هو من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا رواه ابن جرير من حديث الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد به ، وقال سعيد بن المسيب كان رئيس ملائكة سماء الدنيا ، وقال ابن إسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علما فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حى يسمون جنا . وقال ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبى نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى فسخط الله عليه فمسخه شيطانا رجيما لعنه الله ممسوخا قال وإذا كانت خطيئة الرجل فى كبر فلا ترجه وإذا كانت فى معصية فارجه ، وعن سعيد بن جبير أنه قال كان من الجنانين الذين يعملون فى الجنة وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذى بأيدينا وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدى خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه فرضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل ، وقوله (ففسق عن أمر ربه) أى فخرج عن طاعة الله فإن الفسق هو الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها وفسقت الفأرة من جحرها إذا خرجت منه للعيث والفساد ثم قال تعالى مقرعا وموبخا لمن اتبعه وأطاعه (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى) الآية أى بدلا عنى ولهذا قال (بئس للظالمين بدلا) وهذا المقام كقوله بعد ذكر القيامة وأهوالها ومصير كل من الفريقين السعداء والأشقياء فى سورة يس (وامتازوا اليوم أيها المجرمون — إلى قوله — ألم تكونوا تعقلون)

﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

يقول تعالى هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دونى عبيد أمثالكم لا يملكون شيئاً ولا أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا كانوا إذ ذاك موجودين ، يقول تعالى أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحدى ليس معى فى ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الآية ولهذا قال (وما كنت متخذ المضلين عضدا) قال مالك : أعوانا

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا * وَرَءَا

الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رءوس الأشهاد تقريعاً لهم وتوبيخا (نادوا شركائى الذين زعمتم) أى فى دار الدنيا ادعوهم اليوم ينقذونكم مما أنتم فيه كما قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقدتقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وقوله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) كما قال (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوالهم) الآية ، وقال(ومن أضل ممن يدعومن دون الله من لايستجيب له) الآيتين وقال تعالى (واتخذوامن دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا* كلاسيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقوله(وجعلنا بينهم موبقا) قال ابن عباس وقتادة وغير واحد مهلكا ، وقال قتادة ذكرلنا أن عمرا البكالى حدث عن عبدالله بن عمرو قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وقال قتادة: موبقا واديا فى جهنم

وقال ابن جرير حدثنى محمد بن سنان القزاز حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن زريع سمعت أنس بن مالك يقول فى قول الله تعالى (وجعلنا بينهم موبقاً) قال واد فى جهنم من قيح ودم ، وقال الحسن البصرى موبقاً عداوة والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك ويجوز أن يكون واديا فى جهنم أوغيره والمعنى أن الله تعالى بين أنه لاسبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التى كانوا يزعمون فى الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها فى الآخرة فلا خلاص لأحد من الفريقين إلى الآخر بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير . وأما إن جعل الضمير فى قوله بينهم عائدا إلى المؤمنين والكافرين كما قال عبد الله بن عمرو إنه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به فهو كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) وقال (يومئذ يصدعون) وقال تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم ـ إلى قوله ـ وضل عنهم ما كانوا يفترون) وقوله (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا) أى أنهم لما عاينوا جهنم حين جىء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (فإذارأى المجرمون النار) تحققوا لاعحالة أنهم مواقعوها ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم فان توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز وقوله (ولم يجدوا عنها مصرفا) أى ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها . قال ابن جرير حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعمائة سنة » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل فى الدنيا وإن الكافر ليرى جهنم ويظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة»

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

يقول تعالى ولقد بينا للناس فى هذا القرآن ووضحنا لهم الأمور وفصلناها كيلا يضلوا عن الحق ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة . قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى على بن الحسين أن حسين بن على أخبره أن على بن أبى طالب أخبره أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال « ألا تصليان » فقلت يارسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه ويقول (وكان الإنسان أكثر شىء جدلا) أخرجاه فى الصحيحين .

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾

يخبر تعالى عن تمرد الكفرة فى قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق البين الظاهر مع مايشاهدون من الآيات والدلالات الواضحات وأنه مامنعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذى وعدوا به عياناً كما قال أولئك لنبيهم (فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين) وآخرون قالوا (ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وقالت قريش(اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) (وقالوا يا أيها الذى نزل عليك الذكر إنك لمجنون لوماتأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك ثم قال (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) من غشيانهم بالعذاب وأخذهم عن آخرهم (أو يأتيهم العذاب قبلا) أى يرونه عيانا مواجهة ومقابلة ثم قال تعالى(ومانرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) أى قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ومنذرين لمن كذبهم وخالفهم ثم أخبر عن الكفار بأنهم (يجادلون بالباطل ليدحضوا به)أى ليضعفوا به الحق الذى جاءتهم به الرسل وليس ذلك بحاصل لهم (واتخذوا آياتى وما أنذروا هزواً أى اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التى بعث بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب (هزوا) أى سخروا منهم فى ذلك وهو أشد التكذيب

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا * وَتِلْكَ الْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾

يقول تعالى وأى عباد الله ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها أى تناساها وأعرض عنها ولم يصغ لها ولا ألقى إليها بالا (ونسى ما قدمت يداه) أى من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة (إنا جعلنا على قلوبهم) أى قلوب هؤلاء(أكنة)أى أغطية وغشاوة (أن يفقهوه) أى لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان (وفى آذانهم وقراً) أى صما معنويا عن الرشاد(وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) وقوله (وربك الغفور ذو الرحمة) أى ربك يامحمد غفور ذو رحمة واسعة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) كما قال (ولويؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة)وقال (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) والآيات فى هذا كثيرة ثم أخبر أنه يحلم ويستر ويغفر ور بما هدى بعضهم من الغى إلى الرشاد ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد وتضع كل ذات حمل حملها ، ولهذا قال (بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا) أى ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا معدل وقوله (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) أى الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم (وجعلنا لمهلكهم موعدا)أى جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين لايزيد ولا ينقص أى وكذلك أنتم أيها المشركون احذروا أن يصيبكم ما أصابهم فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبى ولستم بأعز علينا منهم فخافوا عذابى ونذر

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا

حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا الشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

سبب قول موسى لفتاه وهو يوشع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبدا من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم مالم يحط به موسى فأحب الرحيل إليه وقال لفتاه ذلك (لا أبرح) أى لاأزال سائرا (حتى أبلغ مجمع البحرين) أى هذا المكان الذى فيه مجمع البحرين . قال الفرزدق : فما برحوا حتى تهادت نساؤهم * ببطحاء ذى قار عياب اللطائم *

قال قتادة وغير واحد: هما بحر فارس مما يلى المشرق وبحر الروم مما يلى المغرب ، وقال محمد بن كعب القرظى مجمع البحرين عند طنجة يعنى فى أقصى بلاد المغرب فالله أعلم ، وقوله (أو أمضى حقبا) أى ولو أنى أسير حقبا من الزمان قال ابن جرير رحمه الله ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب فى لغة قيس سنة ثم قد روى عن عبد الله ابن عمرو أنه قال الحقب ثمانون سنة ، وقال مجاهد سبعون خريفا ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (أو أمضى حقبا) قال دهرا ، وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك . وقوله (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه وقيل له متى فقدت الحوت فهو ثمة فسارا حتى بلغا مجمع البحرين وهناك عين يقال لها عين الحياة فناما هنالك وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان فى مكتل مع يوشع عليه السلام وطفر من المكتل إلى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت فى البحر فجعل يسير فى الماء والماء له مثل الطاق لايلتئم بعده ، ولهذا قال تعالى (واتخذ سبيله فى البحر سربا) أى مثل السرب فى الأرض قال ابن جريج قال ابن عباس صار أثره كأنه حجر . وقال العوفى عن ابن عباس جعل الحوت لايمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة وقال محمد بن إسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك ما انجاب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت الذى فيه فانجاب كالكوة حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه فقال (ذلك ما كنا نبغى) وقال قتادة سرب من البحر حتى أفضى إلى البحر ثم سلك فيه فجعل لايسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا وقوله (فلما جاوزا) أى المكان الذى نسيا الحوت فيه ونسب النسيان إليهما وإن كان يوشع هو الذى نسيه كقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما يخرج من الملح على أحد القولين فلما ذهبا عن المكان الذى نسياه فيه بمرحلة (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا) أى الذى جاوزا فيه المكان (نصبا) يعنى تعبا (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) قال قتادة وقرأ ابن مسعود أن أذكركه ولهذا قال (فاتخذ سبيله) أى طريقه (فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغى) أى هذا هو الذى نطلب (فارتدا) أى رجعا (على آثارهما) أى طريقهما (قصصا) أى يقصان آثار مشيهما ويقفوان أثرهما (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) وهذا هو الخضر عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ . قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرنى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل. قال ابن عباس كذب عدو الله ، حدثنا أبى بن كعب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ قال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى: يارب وكيف لى به ؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله بمكتل فحيثما فقدت

الحوت فهوثم فأخذحوتا فجعله بمكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به ، قال له فتاه (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا) قال فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا ، فقال (ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا) قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام . فقال أنا موسى . فقال موسى بنى إسرائيل ؟ قال نعم قال أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا (قال انك لن تستطيع معى صبرا) ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لاأعلمه . فقال موسى (ستجدنى إن شاءالله صابراً ولا أعصى لك أمراً) قال له الخضر (فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا) فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول ، فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى قد حملونا بغير نول فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئاً إمراً (قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً) ـقال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ـ فكانت الأولى من موسى نسياناً قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة أو نقرتين فقال له الخضر : ماعلمى وعلمك فى علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا) قال وهذه أشد من الأولى ، (قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذراً ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) أى مائلا فقال الخضر بيده (فأقامه) فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا (لوشئت لاتخذت عليه أجراً ، قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) وكان يقرأ (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) ثم رواه البخارى عن قتيبة عن سفيان بن عيينة فذكر نحوه وفيه فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها قال فوضع موسى رأسه فنام ، قال سفيان وفى حديث عن عمرو قال وفى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لايصيب من مائها شىء إلا حيى فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ، فلما استيقظا قال موسى لفتاه (آتنا غداءنا) قال وساق الحديث ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره فى البحر فقال الخضر لموسى ماعلمى وعلمك وعلم الخلائق فى علم الله إلا مقدار ماغمس هذا العصفور منقاره وذكر تمامه بنحوه وقال البخارى أيضاً حدثنا إبراهيم ابن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرنى يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال إنا لعند ابن عباس فى بيته إذ قال سلونى فقلت أى أباعباس جعلنى الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل أما عمرو فقال لى قال كذب عدو الله وأما يعلى فقال لى قال ابن عباس حدثنى أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « موسى رسول الله ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى ، فأدركه رجل فقال أى رسول الله هل فى الأرض أحد أعلم منك ؟ قال لا : فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله ، قيل بلى قال أى رب ، وأين ؟ قال بمجمع البحرين ، قال أى رب اجعل لى علما

أعلم ذلك به . قال لى عمرو قال حيث يفارقك الحوت وقال لى يعلى خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتا فجعله فى مكتل فقال لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كبيرا فذلك قوله (وإذ قال موسى لفتاه) يوشع بن نون ليست عند سعيد بن جبير قال فبينا هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان إذ يضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره ويضرب الحوت حتى دخل فى البحر فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كأن أثره فى حجر قال : فقال لى عمرو هكذا كأن أثره فى حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليهما قال (لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه عند سعيد بن جبير أخبره فرجعا فوجدا خضرا قال : قال عثمان بن أبى سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بأرضى من سلام ؟ من أنت ؟ قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل ؟ قال نعم قال فما شأنك ؟ قال : جئتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحى يأتيك يا موسى إن لى علما لا ينبغى لك أن تعلمه وإن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر حتى إذا ركبا فى السفينة وجدا معابر صغاراً تحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح قال فقلنا لسعيد بن جبير خضر قال نعم لا نحمله بأجر فخرقها ووتد فيها وتدا قال موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً) قال مجاهد منكرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً كانت الأولى نسياناً والثانية شرطا والثالثة عمدا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً فانطلقا حتى لقيا غلاما فقتله قال يعلى قال سعيد وجد غلماناً يلعبون فأخذ غلاما كافراً ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين فقال أقتلت نفساً زكية لم تعمل الحنث وابن عباس قرأها زكية زاكية مسلمة كقولك غلاما زكيا فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال بيده هكذا ودفع بيده فاستقام قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال يعلى حسبت أن سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال سعيد أجرا نأ كله وكان وراءهم ملك وكان أمامهم قرأها ابن عباس أمامهم ملك يزعمون عن غير سعيد انه هدد بن بدد والغلام المقتول اسمه يزعمون حيسور ملك يأخذ كل سفينة غصبا فأردت إذا هى مرت به أن يدعها بعيبها فاذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها منهم من يقول سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان أبواه مؤمنين وكان هو كافرا فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة كقوله (أقتلت نفساً زكية) وقوله (وأقرب رحماً) هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل خضر وزعم غير سعيد بن جبير انهما أبدلا جارية وأما داود بن أبى عاصم فقال عن غير واحد انها جارية

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبى إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى عليه السلام بنى إسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره منى فأمر أن يلقى هذا الرجل فذكر نحو ما تقدم بزيادة ونقصان والله أعلم وقال محمد بن إسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا أبا العباس إن نوفا بن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى النبى الذى طلب العلم إنما هو موسى بن ميشا ، قال سعيد فقال ابن عباس أنوف يقول هذا يا سعيد ؟ فقلت له نعم أنا سمعت نوفا يقول ذلك قال أنت سمعته يا سعيد قال قلت نعم قال كذب نوف . ثم قال ابن عباس حدثنى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى بنى إسرائيل سأل ربه فقال أى رب إن كان فى عبادك أحد هو أعلم منى فدلنى عليه فقال له نعم فى عبادى من هو أعلم منك ثم نعت له مكانه وأذن له فى لقيه ، فخرج موسى ومعه فتاه ومعه حوت مليح قد قيل له إذا حيى هذا الحوت فى مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك فخرج موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت يحملانه فسار حتى جهده السير وانتهى إلى الصخرة وإلى ذلك الماء وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقارنه شىء ميت إلا حيى فلما نزلا ومس الحوت الماء حيى فاتخذ سبيله فى البحر سربا فانطلقا فلما جاوزا النقلة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، قال الفتى وذكر أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت

وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا ، قال ابن عباس فظهر موسى على الصخرة حتى إذا انتهيا إليها فإذا رجل متلفف فى كساء له فسلم موسى عليه فرد عليه السلام ثم قال له ما جاء بك إن كان لك فى قومك لشغل قال له موسى جئتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبرا وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علم ذلك فقال موسى بلى قال (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) أى إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تحط من علم الغيب بما أعلم (قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً) وإن رأيت ما يخالفنى ، قال (فان اتبعنى فلا تسألنى عن شىء) وإن أنكرته (حتى أحدث لك منه ذكرا) فانطلق يمشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس يلتمسان من يحملهما حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شىء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها فسأل أهلها أن يحملوهما فحملوهما فلما اطمأنا فيها ولجت بهما مع أهلها أخرج منقاراً له ومطرقة ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها ثم أخذ لوحا فطبقه عليها ثم جلس عليها يرقعها فقال له موسى ورأى أمرا أفظع به (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا * قال لا تؤاخذنى بما نسيت) أى بما تركت من عهدك (ولا ترهقنى من أمرى عسرا) ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها فيهم غلام ليس فى الغلمان غلام أظرف منه ولا أثرى ولا أوضأ منه فأخذه بيده وأخذ حجرا فصرب به رأسه حتى دمغه فقتله ، قال فرأى موسى أمرا فظيعا لا صبر عليه ، صبى صغير قتله لا ذنب له قال (أقتلت نفسا زكية) أى صغيرة (بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا * قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) أى قد أعذرت فى شأنى (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) فهدمه ثم قعد يبنيه ، فضجر موسى مما يراه يصنع من التكليف وما ليس عليه صبر فأقامه قال (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أى قد استطعمناهم فلم يطعمونا وضفناهم فلم يضيفونا ثم قعدت تعمل من غير صنيعه ولو شئت لأعطيت عليه أجرا فى عمله ، قال (هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا * أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وفى قراءة أبى بن كعب (كل سفينة صالحة) وإنما عبتها لأرده عنها فسلمت منه حين رأى العيب الذى صنعت بها ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى) أى ما فعلته عن نفسى (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز إلا علما ، وقال العوفى عن ابن عباس قالا لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله فى الأرض وقال كلم الله نبيكم تكليما واصطفانى لنفسه وأنزل على محبة منه وآتاكم الله من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة فلم يترك نعمة أنعم الله عليهم إلا وعرفهم إياها . فقال له رجل من بنى إسرائيل هم كذلك يا نبى الله قد عرفنا الذى تقول فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبى الله ؟ قال لا . فبعث الله جبرائيل إلى موسى عليه السلام فقال إن الله يقول وما يدريك أين أضع علمى بلى ان لى على شط البحر رجلا هو أعلم منك . قال ابن عباس هو الخضر ، فسأل موسى ربه ان يريه إياه ، فأوحى إليه أن إئت البحر فإنك تجد على شط البحر حوتا فخذه فادفعه إلى فتاك ثم الزم شاطىء البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح الذى تطلب . فلما طال سفر موسى نبى الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) لك ، قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله فى البحر سربا فأعجب ذلك ، فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت يضرب فى البحر ويتبعه موسى وجعل

موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء يتبع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس عنه الماء حتى يكون صخرة فجعل نبي الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت جزيرة من جزائر البحر فلقي الخضر بها فسلم عليه فقال الخضر وعليك السلام ، وأنى يكون السلام بهذه الأرض ومن أنت ؟ قال أنا موسى . قال الخضر : صاحب بنى إسرائيل ؟ قال نعم فرحب به وقال ما جاء بك ؟ قال جئتك (على أن تعلمنى مما علمت رشدا * قال إنك لن تستطيع معى صبرا) يقول لا تطيق ذلك قال (ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) قال فانطلق به وقال له : لا تسألنى عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه فذلك قوله (حتى أحدث لك منه ذكرا) وقال الزهرى عن عبيدالله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فمر بهما أبى بن كعب فدعاه ابن عباس فقال إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سئل السبيل إلى لقيه فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه قال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بينا موسى فى ملأ من بنى إسرائيل إذ جاءه رجل فقال تعلم مكان رجل أعلم منك ؟ قال لا ، فأوحى الله إلى موسى بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل إلى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت فى البحر فقال فتى موسى لموسى أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فانى نسيت الحوت قال موسى (ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) فوجدا عبدنا خضرا فكان من شأنهما ما قص الله فى كتابه

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ، قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

يخبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الخضر الذى خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الخضر (قال له موسى هل أتبعك) سؤال تلطف لا على وجه الالزام والاجبار وهكذا ينبغى أن يكون سؤال المتعلم من العالم وقوله (أتبعك) أى أصحبك وأرافقك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) أى مما علمك الله شيئا أسترشد به فى أمرى من علم نافع وعمل صالح فعندها (قال) الخضر لموسى (إنك لن تستطيع معى صبرا) أى إنك لا تقدر على مصاحبتى لما ترى منى من الأفعال التى تخالف شريعتك لأنى على علم من علم الله علمكه الله وأنت على علم من علم الله علمنيه الله فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه وأنت لا تقدر على صحبتى (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) فانا أعرف أنك ستنكر على ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلعت على حكمته ومصلحته الباطنة التى اطلعت أنا عليها دونك (قال) أى موسى (ستجدنى إن شاء الله صابر) أى على ما أرى من أمورك (ولا أعصى لك أمرا) أى ولا أخالفك فى شيء فعند ذلك شارطه الخضر عليه السلام (قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء) أى ابتداء (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألنى

قال ابن جرير حدثنا حميد بن جبير حدثنا يعقوب عن هارون عن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال أى رب أى عبادك أحب إليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى رب أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى قال أى رب هل فى أرضك أحد أعلم منى قال نعم قال فمن هو ، قال الخضر قال وأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله وانتهى موسى إليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى إنى أحب أصحبك قال إنك لن تطيق صحبتى قال بلى قال فان صحبتنى (فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) قال فسار به فى البحر حتى انتهى

إلى مجمع البحرين وليس فى الأرض مكان أكثر ماء منه قال وبعث الله الخطاف فجعل يستق منه بمنقاره فقال لموسى كم ترى هذا الخطاف رزأ من هذا الماء قال ما أقل ما رزأ قال يا موسى فإن علمى وعلمك فى علم الله كقدر ما استقى هذا الخطاف من هذا الماء وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به فمن ثم أمر أن يأتى الخضر وذكر تمام الحديث فى خرق السفينة وقتل الغلام وإصلاح الجدار وتفسيره له ذلك .

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه وهو الخضر أنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا واشترط عليه أن لا يسأله عن شىء أنكره حتى يكون هو الذى يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه فركبا فى السفينة وقد تقدم فى الحديث كيف ركبا فى السفينة وأنهم عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول يعنى بغير أجرة تكرمة للخضر فلما استقلت بهم السفينة فى البحر ولجت أى دخلت اللجه قام الخضر فخرقها واستخرج لوحا من ألواحها ثم رقعها فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكرا عليه (أخرقتها لتغرق أهلها) وهذه اللام لام العاقبة لا لام التعليل كما قال الشاعر :

* لدوا للموت وابنوا للخراب *

(لقد جئت شيئاً إمرا) قال مجاهد منكراً وقال قتادة عجبا فعندها قال له الخضر مذكراً بما تقدم من الشرط (ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا) يعنى وهذا الصنيع فعلته قصدا وهو من الأمور التى اشترطت معك أن لا تنكر على فيها لأنك لم تحط بها خبرا ولها دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت (قال) أى موسى (لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا) أى لا تضيق على ولا تشدد على ولهذا تقدم فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « كانت الأولى من موسى نسيانا »

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾

يقول تعالى (فانطلقا) أى بعد ذلك (حتى إذا لقيا غلاما فقتله) وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان فى قرية من القرى وأنه عمد إليه من بينهم وكان أحسنهم وأجملهم وأضوأهم فقتله ، وروى أنه احتز رأسه وقيل رضخه بحجر ، وفى رواية اقتلعه بيده والله أعلم فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول وبادر فقال (أقتلت نفساً زكية) أى صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إثما بعد فقتلته (بغير نفس) أى بغير مستند لقتله (لقد جئت شيئا نكراً) أى ظاهر النكارة (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا) فأكد أيضا فى التذكار بالشرط الأول فلهذا قال له موسى (إن سألتك عن شىء بعدها) أى إن اعترضت عليك بشىء بعد هذه المرة (فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) أى قد أعذرت إلى مرة بعد مرة ، قال ابن جرير حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا حجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال كان النبى ﷺ إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم « رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا » مثقلة

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عنهما إنهما (انطلقا) بعد المرتين الأوليين (حتى إذا أتيا أهل قرية) روى ابن جريج عن ابن سيرين

أنها الأبلة ، وفى الحديث « حتى إذا أتيا أهل قريه لئاما » أى بخلاء (فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) إسناد الارادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة فإن الارادة فى المحدثات بمعنى الميل والانقضاض هو السقوط ، وقوله (فأقامه) أى فرده إلى حالة الاستقامة ، وقد تقدم فى الحديث أنه رده بيديه ودعمه حتى ردميله وهذا خارق فعند ذلك قال موسى له (لوشئت لاتخذت عليه أجراً) أى لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغى أن لا تعمل لهم مجاناً (قال هذا فراق بينى وبينك) أى لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتنى عن شىء بعدها فلا تصاحبنى فهو فراق بينى وبينك (سأنبئك بتأويل) أى بتفسير (ما لم تستطع عليه صبرا)

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾

هذا تفسير ماأشكل أمره على موسى عليه السلام وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الخضر عليه السلام على حكمة باطنه فقال إن السفينة إنما خرقتها لأعيبها لأنهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة (يأخذ كل سفينة) صالحة أى جيدة (غصبا) فأردت أن أعيبها لأرده عنها لعيبها فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شىء ينتفعون به غيرها وقد قيل إنهم أيتام ، وروى ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى أن اسم ذلك الملك هدد بن بدد وقد تقدم أيضاً فى رواية البخارى وهو مذكور فى التوراة فى ذرية العيص بن إسحاق وهو من الملوك المنصوص عليهم فى التوراة والله أعلم

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾

قد تقدم أن هذا الغلام كان اسمه حيشور . وفى هذا الحديث عن عباس عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً » رواه ابن جرير من حديث ابن إسحق عن سعيد عن ابن عباس به ، ولهذا قال (فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) أى يحملهما حبه على متابعته على الكفر ، قال قتادة قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وصح فى الحديث « لا يقضى الله لمؤمن قضاء إلا كان خيراً له » وقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وقوله (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما) أى ولداً أزكى من هذا وهما أرحم به منه قاله ابن جريج وقال قتادة أبربوا الديه وقد تقدم أنهما بدلا جارية . وقيل لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم قاله ابن جريج

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾

فى هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة لأنه قال أولا (حتى إذا أتيا أهل قرية) وقال ههنا (فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) كما قال تعالى (فكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعنى مكة والطائف ومعنى الآية أن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما . قال عكرمة وقتادة وغير واحد كان تحته مال مدفون لهما وهو ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال العوفى عن ابن عباس كان تحته كنز علم وكذا قال سعيد

ابن جبير ، وقال مجاهد صحف فيها علم ، وقد ورد فى حديث مرفوع مايقوى ذلك . قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق البزار فى مسنده المشهور حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحارث ابن عبدالله اليحصبى عن عياش بن عباس الغسانى عن أبى حجيرة عن أبى ذر رفعه قال : إن الكنز الذى ذكره الله فى كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه : عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل لا إله إلا الله محمد رسول الله . وبشر بن المنذر هذا يقال له قاضى المصيصة قال الحافظ أبو جعفر العقيلى فى حديثه وهم وقد روى فى هذا آثار عن السلف فقال ابن جرير فى تفسيره حدثنى يعقوب حدثنا الحسن بن حبيب ابن ندبة حدثنا سلمة عن نعيم العنبرى وكان من جلساء الحسن قال : سمعت الحسن يعنى البصرى يقول فى قوله (وكان تحته كنز لهما) قال لوح من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله . وحدثنى يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى عبد الله بن عباس عن عمر مولى غفرة قال إن الكنز الذى قال الله فى السورة التى يذكر فيها الكهف (وكان تحته كنز لهما) قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف النار ثم ضحك عجب لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجب لمن أيقن بالموت ثم أمن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وحدثنى أحمد بن حازم الغفارى حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبى حماد بن الوليد الثقفى يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول فى قول الله تعالى (وكان تحته كنز لهما) قال سطران ونصف لم يتم الثالث : عجبت للمؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت للمؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت للمؤمن بالموت كيف يفرح . وقد قال الله (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) قالت وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذى حفظا به سبعة آباء وكان نساجاً وهذا الذى ذكره هؤلاء الأئمة وورد به الحديث المتقدم وإن صح لا ينافى قول عكرمة إنه كان مالا لأنهم ذكروا أنه كان لوحاً من ذهب وفيه مال جزيل أكثر مازادوا أنه كان مودعاً فيه علم وهو حكم ومواعظ والله أعلم . وقوله (وكان أبوهما صالحا) فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ فى ذريته وتشمل بركة عبادته لهم فى الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة فى الجنة لتقر عينه بهم كما جاء فى القرآن ووردت به السنة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحا وتقدم أنه كان الأب السابع فالله أعلم . وقوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما) ههنا أسند الارادة إلى الله تعالى لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله ، وقال فى الغلام (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة) وقال فى السفينة (فأردت أن أعيبها) فالله أعلم . وقوله تعالى (رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى) أى هذا الذى فعلته فى هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ووالدى الغلام وولدى الرجل الصالح وما فعلته عن أمرى أى لكنى أمرت به ووقفت عليه وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام مع ماتقدم من قوله (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) وقال آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا نقله الماوردى فى تفسيره وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيا بل كان وليا فالله أعلم . وذكر ابن قتيبة فى المعارف أن اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام ابن نوح عليه السلام قالوا وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالخضر وكان من أبناء الملوك ذكره النووى فى تهذيب الأسماء وحكى هو وغيره فى كونه باقيا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه وذكروا فى ذلك حكايات وآثارا عن السلف وغيرهم وجاء ذكره فى بعض الأحاديث ولا يصح شىء من ذلك وأشهرها أحاديث التعزية وإسناده ضعيف ، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وبقول النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض » وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حيا لكان من أتباع النبى صلى الله

عليه وسلم وأصحابه لأنه عليه السلام كان مبعوثا إلى جميع الثقلين الجن والإنس وقد قال « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعى » وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل . قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخضر قال « إنما سمى خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من تحته خضراء » ورواه أيضا عن عبد الرزاق وقد ثبت أيضا فى صحيح البخارى عن همام عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة فاذا هى تهتز من خضراء » والمراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس وهو الهشيم من النبات ، قاله عبد الرزاق . وقيل المراد بذلك وجه الأرض وقوله (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) أى هذا تفسير ماضقت به ذرعا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء ، ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال (تسطع) وقبل ذلك كان الاشكال قويا ثقيلا فقال (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف كما قال (فما اسطاعوا أن يظهروه) وهو الصعود إلى أعلاه (وما استطاعوا له نقبا) وهو أشق من ذلك فقابل كلا بما يناسبه لفظاً ومعنى والله أعلم . فان قيل : فما بال فتى موسى ذكر فى أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ فالجواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر وذكر ما كان بينهما ، وفتى موسى معه تبع ، وقد صرح فى الأحاديث المتقدمة فى الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون وهو الذى كان يلى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ؟ وهذا يدل على ضعف ما أورده ابن جرير فى تفسيره حيث قال : حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثنى ابن إسحق عن الحسن بن عمارة عن أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر فى حديث وقد كان معه قال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال شرب الفتى من الماء فخلد فأخذه العالم فطابق به سفينة ثم أرسله فى البحر فانها لتموج به إلى يوم القيامة وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب ، إسناده ضعيف والحسن متروك وأبوه غير معروف

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ويسئلونك) يا محمد (عن ذى القرنين) أى عن خبره . وقد قدمنا أنه بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسئلون منهم ما يمتحنون به النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا سلوه عن رجل طواف فى الأرض ، وعن فتية مايدرى ماصنعوا ، وعن الروح ، فنزلت سورة الكهف ، وقد أورد ابن جرير ههنا والأموى فى مغازيه حديثاً أسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن نفراً من اليهود جاءوا يسئلون النبى صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به أنه كان شابا من الروم وأنه بنى الاسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السدور أى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول ونكارة ورفعه لايصح وأكثر مافيه أنه من أخبار بنى إسرائيل ، والعجب أن أبازرعة الرازى مع جلالة قدره ساقه بتمامه فى كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه ، وفيه من النكارة أنه من الروم وإنما الذى كان من الروم الاسكندر الثانى وهو ابن فيليس المقدونى الذى تؤرخ به الروم ، فأما الأول[1] فقد ذكر الأزرقى وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل عليه السلام أول مابناه وآمن به واتبعه وكان وزيره الخضر عليه السلام ، وأما الثانى فهو اسكندر بن فيليس المقدونى اليونانى وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف المشهور والله أعلم . وهو الذى تؤرخ من مملكته ملة الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة ، فأما الأول المذكور فى القرآن فكان فى زمن الخليل كما ذكره الأزرقى وغيره وأنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام وقرب إلى الله قربانا ، وقد ذكرنا طرفا صالحا من أخباره فى كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية ولله الحمد . وقال وهب بن منبه : كان ملكا وإنما سمى ذا القرنين

(١) قوله فأما الأول الخ كذا بالنسخ وفى العبارة شبه تكرار فحرر اهـ .

لأن صفحتى رأســـه كانتا من نحاس ، قال : وقال بعض أهل الكتاب لأنه ملك الروم وفارس ، وقال بعضهم كان فى رأسه شبه القرنين ، وقال سفيان الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل قال سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين فقال كان عبداً ناصحاً لله فناصحه دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فسمى ذا القرنين ، وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل سمع عليا يقول ذلك ، ويقال إنه إنما سمى ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب ، وقوله (إنا مكنا له فى الأرض) أى أعطيناه ملكا عظيما ممكنا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك البلاد وخدمته الأمم من العرب والعجم ، ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمى ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها ، وقوله (وآتيناه من كل شىء سببا) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى وقتادة والضحاك وغيرهم: يعنى علما ،وقال قتادة أيضاً فى قوله(وآتيناه من كل شىء سببا) قال منازل الأرض وأعلامها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وآتيناه من كل شىء سببا) قال تعليم الألسنة قال كان لا يغزو قوما إلا كلمهم بلسانهم ، وقال ابن لهيعة حدثنى سالم ابن غيلان عن سعيد بن أبى هلال أن معاوية بن أبى سفيان قال لكعب الاحبار أنت تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا ؟ فقال له كعب إن كنت قلت ذلك فإن الله قال (وآتيناه من كل شىء سببا) وهذا الذى أنكره معاوية رضى الله عنه على كعب الأحبار هو الصواب والحق مع معاوية فى ذلك الانكار فإن معاوية كان يقول عن كعب إن كنا لنبلو عليه الكذب يعنى فيما ينقله لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس فى صحفه ولكن الشأن فى صحفه أنها من الاسرائيليات التى غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شىء منها بالكلية فانه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض . وتأويل كعب قول الله (وآتيناه من كل شىء سببا) واستشهاده فى ذلك على ما يجده فى صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق فإنه لا سبيل للبشر إلى شىء من ذلك ولا إلى الترقى فى أسباب السموات وقد قال الله فى حق بلقيس (وأوتيت من كل شىء) أى مما يؤتى مثلها من الملوك، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب أى الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض واذلال أهل الشرك قد أوتى من كل شىء مما يحتاج إليه مثله سببا والله أعلم. وفى المختارة للحافظ الضياء المقدسى من طريق قتيبة عن أبى عوانه عن سماك بن حرب عن حبيب بن حماد قال: كنت عند على رضى الله عنه وسأله رجل عن ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب ؟ فقال سبحان الله سخر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد .

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

قال ابن عباس (فأتبع سببا) يعنى بالسبب المنزل ، وقال مجاهد (فأتبع سببا) منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب، وفى رواية عن مجاهد (سببا) قال طرفى الأرض ، وقال قتادة أى اتبع منازل الأرض ومعالمها، وقال الضحاك (فأتبع سببا) أى المنازل ، وقال سعيد بن جبير فى قوله (فأتبع سببا) قال: علما وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلى والسدى، وقال مطر: معالم وآثار كانت قبل ذلك

وقوله (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أى فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر وما يذكره أصحاب القصص والأخبار

من أنه سار فى الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشىء لاحقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم وقوله (وجدها تغرب فى عين حمئة) أى رأى الشمس فى منظره تغرب فى البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهى لاتفارق الفلك الرابع الذى هى مثبتة فيه لاتفارقه والحمئة مشتقة على إحدى القراءتين من الحمأة وهو الطين كما قال تعالى (إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) أى طين أملس وقد تقدم بيانه ، وقال ابن جرير حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب أنبأنا نافع بن أبى نعيم سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول كان ابن عباس يقول فى عين حمأة ثم فسرها ذات حمأة قال نافع وسئل عنها كعب الأحبار فقال أنتم أعلم بالقرآن منى ولكنى أجدها فى الكتاب تغيب فى طينة سوداء ، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وغير واحد وقال أبو داود الطيالسى حدثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ أقرأه حمئة ، وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس وجدها تغرب فى عين حامية يعنى حارة وكذا قال الحسن البصرى ، وقال ابن جرير والصواب أنهما قراءتان مشهورتان وأنهما قرأ القارىء فهو مصيب قلت ولامنافاة بين معنييهما إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها وملاقاتها الشعاع بلا حائل وحمئة فى ماء وطين أسود كما قال كعب الأحبار وغيره . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام حدثنى مولى لعبد الله ابن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال « فى نار الله الحامية لولا مايزعها من أمر الله لأحرقت ماعلى الأرض » قلت ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وفى صحة رفع هذا الحديث نظر ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من راسلتيه اللتين وجدهما يوم اليرموك والله أعلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا محمد يعنى ابن بشر حدثنا عمرو بن ميمون أنبأنا ابن حاضر أن ابن عباس ذكر له أن معاوية ابن أبى سفيان قرأ الآية التى فى سورة الكهف (تغرب فى عين حامية) قال ابن عباس لمعاوية مانقرؤها إلا حمئة فسأل معاوية عبد الله بن عمرو كيف تقرؤها فقال عبد الله كما قرأنها قال ابن عباس فقلت لمعاوية فى بيتى نزل القرآن فأرسل إلى كعب فقال له أين تجد الشمس تغرب فى التوراة ؟ فقال له كعب سل أهل العربية فانهم أعلم بها . وأما أنا فإنى أجد الشمس تغرب فى التوراة فى ماء وطين وأشار بيده إلى المغرب قال ابن حاضر لو أنى عندك أفدتك بكلام تزداد فيه بصيرة فى حمئة قال ابن عباس وإذا ماهو قلت فيما يؤثر من قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين فى تخلقه بالعلم واتباعه إياه

بلغ المشارق والمغارب يبتغى * أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثاط حرمد

فقال ابن عباس ما الخلب قلت الطين بكلامهم قال فما الثاط قلت الحمأة قال فما الحرمد قلت الأسود قال فدعا ابن عباس رجلا أو غلاما فقال اكتب مايقول هذا الرجل وقال سعيد بن جبير بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ (وجدها تغرب فى عين حمئة) فقال كعب والذى نفس كعب بيده ماسمعت أحداً يقرؤها كما أنزلت فى التوراة غير ابن عباس فانا نجدها فى التوراة تغرب فى مدرة سوداء ، وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا إسحق بن أبى إسرائيل حدثنا هشام بن يوسف قال فى تفسير ابن جريج (ووجد عندها قوما) قال مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب ، وقوله (ووجد عندها قوما) أى أمة من الأمم ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بنى آدم وقوله (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) معنى هذا أن الله تعالى مكنه منهم وحكمه فيهم وأظفره بهم وخيره إن شاء قتل وسبى وإن شاء من أو فدى فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه فى قوله (أما من ظلم) أى استمر على كفره وشركه بربه (فسوف نعذبه) قال قتادة بالقتل وقال السدى كان يحمى لهم بقر النحاس ويضعهم فيها حتى يذوبوا وقال وهب بن منبه كان يسلط الظلمة فتدخل أجوافهم وبيوتهم وتغشاهم من جميع جهاتهم والله أعلم ، وقوله (ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكراً) أى شديداً بليغا وجيعا ألما وفى هذا إثبات المعاد والجزاء . وقوله وأما من آمن أى تابعنا على ماندعوه إليه من عبادة الله وحده لاشريك له (فله جزاء الحسنى أى فى الدار الآخرة عند الله

عزوجل (وسنقول له من أمرنا يسرا) قال مجاهد: معروفا .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾

يقول تعالى ثم سلك طريقا فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل فان أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الاقليم المتاخم لهم ، وذكر فى أخبار بنى إسرائيل أنه عاش ألفا وستمائة سنة يجوب الأرض طولها والعرض حتى بلغ المشارق والمغارب ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال الله تعالى (وجدها تطلع على قوم) أى أمة (لم نجعل لهم من دونها سترا) أى ليس لهم بناء يكنهم ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس. قال سعيد بن جبير كانوا حمرا قصارا مساكنهم الغيران أكثر معيشتهم من السمك .

وقال أبو داود الطيالسى حدثنا سهل بن أبى الصلت سمعت الحسن وسئل عن قول الله تعالى (لم نجعل لهم من دونها سترا) قال إن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس تغوروا فى المياه فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال الحسن هذا حديث سمرة ، وقال قتادة ذكر لنا أنهم بأرض لا تنبت لهم شيئا فهم إذا طلعت الشمس دخلوا فى أسراب حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حروثهم ومعايشهم وعن سلمة بن كهيل أنه قال : ليست لهم أكنان إذا طلعت الشمس طلعت عليهم فلأحدهم أذنان يفرش إحداهما ويلبس الأخرى ، قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال هم الزنج . وقال ابن جرير فى قوله (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها ، قالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام ؟ قالوا هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا ، قال فذهبوا هاربين فى الأرض وقوله (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) قال مجاهد والسدى: علما أى نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شىء وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض فانه تعالى (لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء) .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن ذى القرنين ثم أتبع سببا أى ثم سلك طريقا من مشارق الأرض حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيثون فيها فسادا ويهلكون الحرث والنسل ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت فى الصحيحين « ان الله تعالى يقول : يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال ان فيكم أمتين ما كانتا فى شىء إلا . كثرتاه يأجوج ومأجوج » وقد حكى النووى رحمه الله فى شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من منى

خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك ، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء وهذا قول غريب جداً ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم

وفى مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك » قال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث أبى الترك ، وقال إنما سمى هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة وإلا فهم أقرباء أولئك ولكن كان فى أولئك بغى وفساد وجراءة وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثراً طويلا عجيبا فى سير ذى القرنين وبنائه السد وكيفية ما جرى له وفيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم وروى ابن أبى حاتم عن أبيه فى ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها والله أعلم . وقوله (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) أى لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس (قالوا يا ذى القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا) قال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أجرا عظيما يعنى أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير (ما مكنى فيه ربى خير) أى إن الذى أعطانى الله من الملك والتمكين خير لى من الذى تجمعونه كما قال سليمان عليه السلام (أتمدوننى بمال فما آتانى الله من خير مما آتاكم) الآية وهكذا قال ذو القرنين الذى أنا فيه خير من الذى تبذلونه ولكن ساعدونى بقوة أى بعملكم وآلات البناء (أجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد) والزبر جمع زبرة وهى القطعة منه قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهى كاللبنة يقال كل لبنة زنة قنطار بالدمشقى أو تزيد عليه (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أى وضع بعضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولا وعرضا واختلفوا فى مساحة عرضه وطوله على أقوال (قال انفخوا) أى أججوا عليه النار حتى صار كله نارا (قال آتونى أفرغ عليه قطرا) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى هو النحاس زاد بعضهم المذاب ويستشهد بقوله تعالى (وأسلنا له عين القطر) ولهذا يشبه بالبرد المحبر . قال ابن جرير حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلا قال يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال « انعته لى » قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال « قد رأيته » هذا حديث مرسل ، وقد بعث الخليفة الواثق فى دولته بعض أمرائه وجهز معه جيشا سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيما وعليه أقفال عظيمة ورأوا بقية اللبن والعمل فى برج هناك وأن عنده حرسا من الملوك المتاخمة له وأنه عال منيف شاهق لا يستطاع ولا ما حوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وعجائب ، ثم قال الله تعالى ،

﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يأجوج ومأجوج إنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلا بما يناسبه فقال (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على نقبه ولا على شىء منه فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً

فيعودون اليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا فى رقابهم فيقتلهم بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم » ورواه أحمد أيضا عن حسن هو ابن موسى الأشهب عن سفيان عن قتادة به وكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال حدث أبو رافع وأخرجه الترمذى من حديث أبى عوانة عن قتادة ثم قال غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه وإسناده جيد قوى ولكن متنه فى رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لاحكام بنائه وصلابته وشدته ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون غدا نفتحه فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتحه ويلهمون أن يقولوا إن شاء الله فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه وهذا متجه ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فانه كان كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه والله أعلم

ويؤيد ماقلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا ثقب شىء منه ومن نكارة هذا المرفوع قول الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن زينب بنت أبى سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبى سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ — قال سفيان أربع نسوة — قالت استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » وحلق قلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال « نعم إذا كثر الخبيث » هذا حديث صحيح اتفق البخارى ومسلم على إخراجه من حديث الزهرى ولكن سقط فى رواية البخارى ذكر حبيبة وأثبتها مسلم وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع فى صناعة الإسناد منها رواية الزهرى عن عروة وهما تابعيان ومنها اجتماع أربع نسوة فى سنده كلهن يروى بعضهن عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان ربيبتان وثنتان زوجتان رضى الله عنهن ، وقد روى نحو هذا عن أبى هريرة أيضا فقال البزار حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا وهب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » وعقد التسعين ، وأخرجه البخارى ومسلم من حديث وهب به . وقوله (قال هذا رحمة من ربى) أى لما بناه ذوالقرنين (قال هذا رحمة من ربى) أى بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من العيث فى الأرض والفساد (فإذا جاء وعد ربى) أى إذا اقترب الوعد الحق (جعله دكاء) أى ساواه بالأرض تقول العرب ناقة دكاء إذا كان ظهرها مستويا لاسنام لها وقال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) أى مساويا للأرض . وقال عكرمة فى قوله (فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء) قال طريقا كما كان (وكان وعد ربى حقا) أى كائنا لامحالة . وقوله (وتركنا بعضهم) أى الناس يومئذ أى يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون فى الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم وهكذا قال السدى فى قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) قال ذاك حين يخرجون على الناس وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال كما سيأتى بيانه عند قوله (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق) الآية وهكذا قال ههنا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) قال هذا أول يوم القيامة (ثم نفخ فى الصور) على أثر ذلك (فجمعناهم جمعا) وقال آخرون بل المراد بقوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) قال إذا ماج الجن والإنس يوم القيامة يختلط الإنس والجن ، وروى ابن جرير عن محمد ابن حميد عن يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن شيخ من بنى فزارة فى قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى

يعض) قال إذا ماج الإنس والجن قال إبليس أنا أعلم لكم علم هذا الأمر فيظعن إلى المشرق فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ثم يظعن إلى المغرب فيجد الملائكة قد بطنوا الأرض فيقول مامن محيص ثم يظعن يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض فيجد الملائكة قد بطنوا الأرض فيقول مامن محيص فبينما هو كذلك إذ عرض له طريق كالشراك فأخذ عليه هو وذريته فبيناهم عليه إذهجموا على النار فأخرج الله خازناً من خزان النار فقال يا إبليس ألم تكن لك منزلة عندربك ألم تكن في الجنان ؟ فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض على فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه فيقول فان الله قدفرض عليك فريضة فيقول ماهي فيقول يأمرك أن تدخل النار فيتلكأ عليه فيقول به وبذريته بجناحيه فيقذفهم في النار فتزفر النار زفرة لايبقى ملك مقرب ولانبي مرسل إلاجثى لركبتيه ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به ثم رواه من وجه آخرعن يعقوب عن هارون عن عنترة عن أبيه عن ابن عباس (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال الإنس والجن يموج بعضهم في بعض

وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الاصبهاني حدثنا أبومسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبوداود الطيالسي حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي إسحق عن وهب بن جابر عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً وإن من ورائهم ثلاث أمم تاويل وتايس ومنسك » هذا حديث غريب بل منكر ضعيف . وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعاً « إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاءوا وشجر يلقحون ماشاءوا ولا يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعداً » وقوله (ونفخ في الصور) والصور كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه والذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام كما قد تقدم في الحديث بطوله والأحاديث فيه كثيرة . وفي الحديث عن عطية عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعاً « كيف أنعم وصاحب القرن قدالتقم القرن وحنى جبهته واستمع متى يؤمر » قالوا كيف نقول قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقوله (فجمعناهم جمعاً) أي أحضرنا الجميع للحساب (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً)

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم جهنم أي يبرزها لهم ويظهرها ليروا مافيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » ثم قال مخبراً عنهم (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) أي تغافلوا وتعاموا وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق كما قال (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) وقال ههنا (وكانوا لايستطيعون سمعاً) أي لايعقلون عن الله أمره ونهيه ثم قال (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أي اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك وينتفعون به (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلا

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو عن مصعب قال : سألت أبى يعنى سعد بن أبى وقاص عن قول الله (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) أهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فكان سعد رضى الله عنه يسميهم الفاسقين ، وقال على بن أبى طالب والضحاك وغير واحد : هم الحرورية ، ومعنى هذا عن على رضى الله عنه أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم لا أنها نزلت فى هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هى أعم من هذا فان هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية وإنما هى عامة فى كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطىء وعمله مردود كما قال تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية) وقال تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) وقال تعالى (والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وقال فى هذه الآية الكريمة (قل هل ننبئكم) أى نخبركم (بالأخسرين أعمالا) ثم فسرهم فقال (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) أى عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) أى يعتقدون أنهم على شىء وأنهم مقبولون محبوبون ، وقوله (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) أى جحدوا آيات الله فى الدنيا وبراهينه التى أقام على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أى لا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير . قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا المغيرة حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة — وقال — اقرءوا إن شئتم (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) » وعن يحيى بن بكير عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد مثله هكذا ذكره عن يحيى بن بكير معلقا ، وقد رواه مسلم عن أبى بكر محمد بن إسحق عن يحيى بن بكير به، وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها » قال وقرأ (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) وكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن أبى الصلت عن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة مرفوعا فذكره بلفظ البخارى سواء وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا العباس بن محمد حدثنا عون بن عمارة حدثنا هاشم بن حسان عن واصل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رجل من قريش يخطر فى حلة له فلما قام على النبى ﷺ قال « يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزنا » ثم قال تفرد به واصل مولى أبى عيينة وعون بن عمارة وليس بالحافظ ولم يتابع عليه وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن سمرة عن أبى يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضه ، اقرءوا (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وقوله (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا)) أى إنما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا استهزءوا بهم وكذبوهم أشد التكذيب

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾

يخبر تعالى عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به أن لهم جنات الفردوس قال مجاهد: الفردوس هو البستان بالرومية ، وقال كعب والسدى والضحاك: هو البستان الذى فيه شجر الأعناب وقال أبو أمامة: الفردوس سرة الجنة وقال قتادة : الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقد روى هذا مرفوعا من حديث سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها »

وهكذا رواه إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن سمرة مرفوعا وروى عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعا بنحوه وروى ذلك كله ابن جرير رحمه الله ، وفى الصحيحين « إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة » وقوله تعالى (نزلا) أى ضيافة فان النزل الضيافة وقوله (خالدين فيها) أى مقيمين ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبداً (لا يبغون عنها حولا) أى لا يختارون عنها غيرها ولا يحبون سواها كما قال الشاعر

فحلت سويدا القلب لا أنا باغياً سواها ولا عن حبها أتحول

وفى قوله (لا يبغون عنها حولا) تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم لها مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم فى المكان دائما أنه قد يسأمه أو يمله فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدى لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولا ولا انتقالا ولا ظعنا ولا رحلة ولا بدلا

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لو كان ماء البحر مدادا للقلم الذى يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك (ولو جئنا بمثله) أى بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جرا بحور تمده ويكتب بها لما نفدت كلمات الله كما قال تعالى (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) وقال الربيع بن أنس إن مثل علم العباد كلهم فى علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى) يقول لو كانت تلك البحور مدادا لكلمات الله والشجر كله أقلام لانكسرت الاقلام وفنى ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شىء لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغى حتى يكون هو الذى يثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول ، إن مثل نعيم الدنيا أولها وآخرها فى نعيم الآخرة كحبة من خردل فى خلال الأرض كلها

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾

روى الطبرانى من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الكوفى أنه سمع معاوية بن أبى سفيان أنه قال هذه آخر آية أنزلت يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (قل) لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم (إنما أنا بشر مثلكم) فمن زعم أنى كاذب فليأت بمثل ماجئت به فانى لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضى عما سألتم من قصه أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين مما هو مطابق فى نفس الأمر لولا ما أطلعنى الله عليه وإنما أخبركم (أنما إلهكم) الذى أدعوكم إلى عبادته (إله واحد) لا شريك له (فمن كان يرجو القاء ربه) أى ثوابه وجزاءه الصالح (فليعمل عملا صالحا) ما كان موافقا لشرع الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وهو الذى يراد به وجه الله وحده لاشريك له ، وهذان ركنا العمل المتقبل . لابد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله ﷺ وقد روى ابن أبى حاتم من حديث معمر عن عبد الكريم الجزرى عن طاوس قال : قال رجل يارسول الله إنى أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئا حتى نزلت هذه الآية (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وهكذا أرسل هذا مجاهد وغير واحد ، وقال الأعمش حدثنا حمزة أبو عمارة مولى بنى هاشم عن شهر بن حوشب قال جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال أنبئنى عما أسألك عنه . أرأيت رجلا يصلى يبتغى وجه الله ويحب أن يحمد ، ويصوم يبتغى وجه الله ويحب أن يحمد ، ويتصدق يبتغى وجه الله ويحب أن يحمد ، ويحج يبتغى وجه الله ويحب أن يحمد ، فقال عبادة ليس له شىء إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك فمن كان له معى شريك فهو له كله لا حاجة لى فيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا كثير بن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده قال كنا نتناوب رسول الله ﷺ

فنبيت عنده تكون له الحاجة أو يطرقه أمر من الليل فيبعثنا فكثر المحبوسون وأهل النوب فكنا نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما هذه النجوى ؟ » قال فقلنا تبنا إلى الله أى نبى الله إنما كنا فى ذكر المسيح وفرقنا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندى ؟ » قال : قلنا بلى قال « الشرك الخفى أن يقوم الرجل يصلى لمكان الرجل » . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد يعنى ابن بهرام قال: قال شهر بن حوشب قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء لقينا عبادة بن الصامت فأخذ يمينى بشماله وشمال أبى الدرداء بيمينه فخرج يمشى بيننا ونحن نتناجى والله أعلم بما نتناجى به فقال عبادة بن الصامت إن طال بكما عمر أحدكما أو كليكما لتوشكان أن تريا الرجل من ثبج المسلمين يعنى من وسط قراء القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبدأه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزله عند منازله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار الميت . قال فبينا نحن كذلك إذ طلع شداد بن أوس رضى الله عنه وعوف بن مالك فجلسا إلينا فقال شداد إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من الشهوة الخفية والشرك » فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء : اللهم غفرا ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد فى جزيرة العرب . أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هى شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها فما هذا الشرك الذى تخوفنا به يا شداد ؟ ؟ فقال شداد أرأيتكم لو رأيتم رجلا يصلى لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق أترون أنه قد أشرك ؟ قالوا نعم والله إن من صلى أو صام أو تصدق له لقد أشرك فقال شداد فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « من صلى يرائى فقد أشرك ، ومن صام يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشرك » قال عوف بن مالك عند ذلك أفلا يعمد الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص له ويدع ما أشرك به فقال شداد عند ذلك فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بى من أشرك بى شيئا فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به ، أنا عنه غنى »

﴿ طريق أخرى لبعضه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن الحباب حدثنى عبد الواحد بن زياد أخبرنا عبادة بن نسى عن شداد ابن أوس رضى الله عنه أنه بكى فقيل له ما يبكيك قال شىء سمعته من رسول الله ﷺ فأبكانى ، سمعت رسول الله يقول « أتخوف على أمتى الشرك والشهوة الخفية » قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال « نعم أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراءون بأعمالهم والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه » ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسى به وعبادة فيه ضعف وفى سماعه من شداد نظر ﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن على بن جعفر الأحمر حدثنا على بن ثابت حدثنا قيس بن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله يوم القيامة أنا خير شريك من أشرك بى أحدا فهو له كله » ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت العلاء يحدث عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال « أنا خير الشركاء فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا برىء منه وهو للذى أشرك » تفرد به من هذا الوجه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد يعنى ابن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله، قال « الرياء ، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكير أخبرنا عبد الحميد يعنى ابن جعفر أخبرنى أبى عن زياد بن ميناء عن أبى سعيد بن أبى فضالة الأنصارى وكان من الصحابة أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لاريب فيه نادى مناد : من كان أشرف فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث محمد وهو البرسانى به ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا

أحمد بن عبد الملك حدثنا بكار حدثنى أبى - يعنى عبد العزيز بن أبى بكرة - عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به » وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال « من يرائى يرائى الله به ومن يسمع يسمع الله به » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثنى عمرو بن مرة قال سمعت رجلا فى بيت أبى عبيدة أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من سمع الناس بعمله سمع الله به ، مسامع خلقه وصغره وحقره » فذرفت عينا عبد الله ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن يحيى الايلى حدثنا الحارث بن غسان حدثنا أبو عمران الجونى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تعرض أعمال بنى آدم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة فى صحف مختمة فيقول الله ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيرا فيقول إن عمله كان لغير وجهى ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهى » ثم قال الحارث بن غسان روى عنه جماعة وهو ثقة بصرى ليس به بأس ، وقال وهب حدثنى يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الأعرج عن عبد الله بن قيس الخزاعى أن رسول الله ﷺ قال « من قام رياء وسمعة لم يزل فى مقت الله حتى يجلس » وقال أبو يعلى حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عوف ابن مالك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عزوجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكونى حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكندى أنه سمع معاوية بن أبى سفيان تلا هذه الآية (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية ، وقال إنها آخر آية نزلت من القرآن وهذا أثر مشكل فان هذه الآية آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هى مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ فى ليلة: (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية كان له من النور من عدن أبين إلى مكة حشو ذلك النور الملائكة » غريب جداً .

آخر تفسير سورة الكهف

﴿ تفسير سورة مريم وهى مكية ﴾

وقد روى محمد بن إسحق فى السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود فى قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشى وأصحابه

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ كٓهيعٓصٓ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة . وقوله (ذكر رحمت ربك) أى هذا ذكر رحمة الله عبده زكريا ، وقرأ يحيى بن يعمر (ذكر رحمت ربك عبده زكرياء) وزكريا يمد ويقصر قراءتان مشهورتان . وكان نبيا عظيما من أنبياء بنى إسرائيل ، وفى صحيح البخارى أنه كان نجارا يأكل من عمل يده فى النجارة . وقوله (إذ نادى ربه نداء خفياً) قال بعض المفسرين إنما أخفى دعاءه لئلا ينسب فى طلب الولد إلى الرغبة لكبره ، حكاه الماوردى وقال الآخرون إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله كما قال قتادة فى هذه الآية (إذ نادى ربه نداء خفياً) إن الله يعلم القلب التقى ، ويسمع الصوت الخفى ، وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام أصحابه فجعل يهتف بربه يقول: